قابيل وهابيل

دخلا التاريخ كأول أخوة أنداد، ودخلاه أيضًا كبطلين لأول جريمة قتل حدثت في التاريخ.. إنهما قابيل وهابيل.

عقب خروج آدم وحواء من الجنة، بعد وسوسة إبليس لهما، هبطا إلى الأرض، ووضعت حواء زوجة سيدنا آدم -عليه السلام- توأمين، هما: هابيل وأخته وقابيل وأخته، وكان كلٌّ من قابيل وهابيل عاملين في الأرض، فقد كان هابيل من رعاة الأغنام، أما قابيل كان من زرّاع الأرض.

تزوج كلٌّ من قابيل وهابيل أخت الآخر، حفاظًا على النوع الإنساني وحمايةً له من الانقراض والفناء، فتزوج قابيل توأم هابيل، وتزوج هابيل توأم قابيل، وكانت توأم قابيل أجمل من توأم هابيل، وعندما طلب آدم من أبنائه إتمام ذلك الزواج، أبى قابيل ذلك ورفض بشدة؛ لأن نصيبه هو الفتاة الأقل جمالًا.

أراد قابيل أن يتزوج من توأمه، خلافًا لأمر الله، ولم يرضَ بتلك القسمة، ولحل تلك القضية هدى الله تعالى آدم إلى مخرج، هو أن يقدم كلٌّ من قابيل وهابيل قربانًا إلى الله -عز وجل- والذي يقبل قربانه سينال مراده ومشتهاه وينفذ طلبه؛ أي إذا تقبل الله قربان قابيل، سيتزوج من أخته وليس أخت هابيل.

قدَّم هابيل قربانًا من أسمن أغنامه، أما قابيل فقد قدم قممًا من زرعه.. نزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وتركت لقابيل قربانه، ما كان إيذانًا بقبول قربان هابيل، ورفض قربان قابيل.

يفسِّر العهد القديم عدم قبول قربان قابيل بأنه كان مخالفًا لما كان يتطلبه وهو الذبيحة الدموية، أما هابيل فقد فعل وقدَّم دمًا يراق لوجه الله.

غضب قابيل من رفض قربانه، ونظر لأخيه متوعدًا إياه بالقتل، وألا يتركه يتزوج من أخته أبدًا.. لم يردّ هابيل عليه واكتفى بتأكيد أن الله لا يتقبل إلا من المتقين، كان هابيل رجلًا موفور الجسم والعقل، وُهِب الحكمة وآثر رضا الله تعالى وطاعة والديه راضيًا بقسمة ربه.

غلت نار الحسد والغيرة والحقد في قلب قابيل، فقام بقتل أخيه وهو نائم، ويقال إن حادثة القتل هذه قد حدثت في جبل "قاسيون" المطل على مدينة دمشق، وبهذا يكون هابيل أول من قتل على سطح الأرض.

لم يعرف قابيل كيف يواري جثة أخيه، وقرر أن يحمله في جراب على ظهره حائرًا ومضطربًا لا يعلم ما يفعل، إلى أن بعث الله تعالى غرابين يقتتلان، فقتل أحد الغرابين نظيره وحفر حفرةً في التراب بمنقاره ليواري فيها جثة الغراب الآخر ويخفيها، ومن هذا المشهد تعلَّم قابيل متأثرًا ومستشعرًا بشيء من الحسرة والندم، وحفر حفرةً لأخيه دافنًا جثته تحت التراب.

في العهد القديم، وبعد دفن هابيل يُروى أن الرب سأل قابيل عن مكان هابيل أخيه، فأجاب قابيل أنه لا يعلم، وأنه ليس بحارس لأخيه، فقال له الرب، ماذا فعلت يا قابيل؟ فصوت دم أخيك صارخ من الأرض ومن الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، وكُتب عليك أن تكون تائهًا وهاربًا في الأرض.

أما في القرآن الكريم فقد ندم قابيل على فعلته وتاب إلى الله ومات من أثر الندم والحزن الشديد على المعصية التي ارتكبها بحق أخيه، كما أن قابيل أصبح يتحمَّل ذنب كل جريمة قتل عمد تحصل على الأرض من بعده، كونه أول قاتل على وجه الأرض وكان القتيل.. شقيقه!